فلنقاتلهم بنيانًا مرصوصًا

للشيخ أيمن الظواهري (حفظه الله)



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

———

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

حدثت في العام الماضي تحولات عديدة فيما يخص المجاهدين عامةً ومجاهدي قاعدة الجهاد في الشام خاصةً، وتدهور وضع المجاهدين الداخلي حتى وصل للتمزق والحيرة والتبلبل والتعادي والقتال.

ومنذ أكثر من سنة منذ إعلان ما سموه (فك الارتباط)، وأنا لا أتكلم في هذه المشاكل، فقد كانت الأوضاع بعد حلب لا تسمح بذلك، ولا يعني هذا أني وإخواني في القيادة العامة وسائر الأفرع لا نتابع ما يجري يومًا بيوم، ولكننا آثرنا المعالجة الهادئة بعيدًا عن الضجيج الإعلامي.

وأخبرنا إخواننا أن ما فعلوه بالإضافة لكونه نكثًا للعهد، إلا أنه لن يحقق ما يطلبون من وحدة، لأنه في حقيقته تراجع أمام الضغط الأمريكي، ولن يوقف القصف ولا التصنيف بالإرهاب، ولا غير ذلك من الحجج الواهية التي طرحوها.

وأنه لو تحققت الوحدة، فسنكون أول المباركين، ونتخلى عن صلتنا بهم، ولكن كل ما فعلوه هو إنشاء كيان جديد فقط، مما سيزيد الموقف تعقيداً، وهو الحاصل اليوم من قتل وقتال واتهامات وفتاوى وفتاوى مضادة بين المجاهدين، بينما العدو يتقدم يومًا بعد يوم، والتهجير مستمر، وخطر الاجتياح التركي جاثم، والمشروع الأمريكي يتوغل كل يوم في سوريا، والإيرانيون وحزب الله يبتلعون المناطق.

وزاد الطين بلةً سياسة التعمية على الأتباع؛ بأن كل ما يجري بموافقة قيادة القاعدة، وأن من ظل متمسكًا ببيعته للقاعدة سيعتقل إن تحرك باسم القاعدة، ثم بدأت سياسة التضييق على الإخوة المتمسكين بالبيعة، ووصل الأمر لحد القتال واعتقال النساء والتحقيق مع الأطفال.

وكانت لي ولإخواني مراسلات واتصالات عديدة لإصلاح الأمور في هدوء وترشيد المسار في سكون، وهو النهج الذي اخترناه في تلك المدة، ونصحنا به أهل الخير.

وأعطينا الفرصة بعد الفرصة والمهلة بعد المهلة لأكثر من سنة، ولكنا رأينا أن الأمور تزداد تفاقمًا، والنفرة والخلاف والتباغض والتعدي على الحقوق والحرمات يتصاعد.

وأصبح أهل الشام في بلبلة والمجاهدون في حيرة مما يحدث.

فرأيت أن أتكلم بكلمات موجزات أحق فيها الحقوق، وأسعى لتسكين النفوس وتوحيد الصفوف وتأليف القلوب، عسى الله أن يجعل لهذه النصيحة قبولًا في قلوب المجاهدين والمسلمين، مؤكدًا على أني وإخواني أول المحتاجين للنصح، ولا نبرؤ أنفسنا من التقصير.

بادئ ذي بدء أود أن أؤكد حقيقةً واضحةً، وهي أن الجهاد في الشام هو جهاد دفع، وهو الذي ذكر الفقهاء أنه لا يشترط له شرط، بل يدفع الصائل الغازي فيه بقدر الإمكان، ومع كل أهل الإسلام: الصالح والطالح والموافق والمخالف.

والأمر الثاني: أن الجهاد في الشام هو جهاد الأمة المسلمة كلها، فلا يقال هو جهاد أهل الشام، ولا جهاد أهل سوريا، ولا جهاد أهل إدلب ولا درعا ولا دمشق، ولا يقال لأحد: اخرج من الشام، وإذا تحركت فيه سنعتقلك، فالمصلحة في طردك، فهذا مناف لما قرره الفقهاء: من أن ديار الإسلام بمنزلة البلدة الواحدة، وأن المسلمين أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

وكيف يقبل أهل الشام أن تتردد بينهم هذه المقولة الباطلة، وها هو تاريخهم الناصع في الدفاع عن المسلمين يشع نورًا. من هو الشيخ عز الدين بن عبد السلام؟ أليس دمشقيًا؟ هاجر لمصر، وحرض على قتال التتار، فنصر الله المسلمين عليهم في عين جالوت، ومن هو سليمان الحلبي؟ ألم يقتل الجنرال كليبر بالقاهرة، ومن هو عز الدين القسام؟ أليس من جبلة من أعمال اللاذقية، نفر للجهاد في فلسطين، ومن هما أبو مصعب وأبو خالد السوريين؟ ألم يهاجرا لأفغانستان؟

وهل لو جاء لأهل الشام خالد بن الوليد أو أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهما- أو نور الدين زنكي التركي أو صلاح الدين الكردي أو قطز القوقازي أو أسامة بن لادن اليمني سيقولون لهم: اخرجوا من الشام فلستم سوريين، وستجلبون علينا القصف والتصنيف وقطع المعونات؟

ثم ما هي بدعة: ليست لنا صلات خارجية هذه؟ هل لو جاء لأهل الشام خالد بن الوليد رضي الله عنه، فسيقولون له: اخرج. فإن لك صلات خارجية بأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

الأمر الثالث: الذي أود الإشارة له هو أن العقود والبيعات من الأمور العظيمة، التي لا يجب التلاعب فيها، بل لقد أوجب الشرع الوفاء بها، قال الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾، وقال

سبحانه: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وأنا هنا أود أن أؤكد بصورة قاطعة؛ أننا لم نحل أحدًا من بيعتنا، فقط طردنا إبراهيم البدري ومن معه من الجماعة، ولكننا لم نحل أحدًا من بيعتنا لا جبهة النصرة ولا غيرها، ولم نقبل أن تكون بيعة جبهة النصرة سريةً، واعتبرنا هذا من الأخطاء القاتلة.

والبيعة بيننا وبين كل من بايعنا عقد ملزم يحرم نكثه، ويجب الوفاء به.

وأذكر أن الشيخ أبا خالد السوري -رحمه الله- أرسل لي خطابًا بعد أن اخترته مندوبًا عن جماعة قاعدة الجهاد في تنفيذ قرار الفصل بين الدولة والنصرة، قال فيه عن تلاعب أتباع عصابة البدري بالبيعة:

"ولا أخفيك القول: إن الخصومة لما وقعت اقترنت بفجور و بهتان، فلو أرسلت إليهم شريحًا قاضيًا وإياس بن معاوية حكمًا ما كانوا ليرضوا، فالقاعدة اسم يتبجحون فيه، لا تنظيم يتبعونه، وافق لهم هوىً، فلما خالفه فلا سمع ولا طاعة".

ولذا أقول لإخواني الكرام الذين بايعوا جماعة قاعدة الجهاد: أيها الإخوة الكرام الأحباب، إن بيعتكم لي ولجماعة قاعدة الجهاد شرف نعتز به، وفخر لنا، وتاج على رؤوسنا، ونسأل الله أن نكون أهلًا لها، ونسأله أن يجعلنا خيرًا مما تظنون، وأن يغفر لنا ما لا تعلمون.

فاثبتوا عباد الله على عهودكم ومواثيقكم، ولا تتزحزحوا ولا تتذبذبوا لكل صيحة أو شبهة أو دعاية، واحذروا من كبيرة نكث العهد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل هذه غدرة فلان بن فلان" .

وإن هذه البيعة توجب لكم علينا حق النصح والإرشاد والرعاية والاهتمام، وتوجب لنا عليكم حق السمع والطاعة، فلنكن يدًا واحدةً متآلفين متحدين سلمًا لأولياء الله، وحربًا على أعدائه، ننصر المسلمين والمستضعفين في كل مكان، والله سبحانه المستعان على كل خير.

وأطلب من إخواني جنود قاعدة الجهاد في الشام أن يتعاونوا مع كل المجاهدين الصادقين، وأن يسعوا في جمع الشمل ورأب الصدع، وأن يكونوا من السباقين إلى الخير، يتسابقون للشهادة، ويتقدمون الصفوف، ويبادرون لخدمة المجاهدين والمهاجرين والمستضعفين وسائر المسلمين.

وأن يكونوا أول الناس في البذل والعطاء والتأليف بين المجاهدين والمسلمين، وآخر الناس في الشر والخلاف والنزاع والتنازع.

وهذا أمر مني واضح لهم بأن يتعاونوا مع إخوانهم المجاهدين من وافقهم ومن خالفهم على جهاد وقتال البعثيين والرافضة الصفويين والصليبيين والخوارج المارقين.

ولكني أنهاهم كل النهي، وأحذرهم كل التحذير من أن يتعاونوا مع أي من كان على الظلم والعدوان والتعدي على حقوق المسلمين، وعلى ما أقرته الشريعة للكافرين، فلا يسفكوا دمًا حرامًا، ولا يأخذوا مالًا مصونًا، ولا يعتدوا على عرض ولا شرف ولا عزة لمسلم، ولا يؤذوا كافرًا حفظت الشريعة حقه.

وحينئذ فإني وإخواني أبرياء من أفعالهم. ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

وأطلب من إخواني جنود قاعدة الجهاد في الشام أن يكونوا على تواصل مع قيادتهم، وهي حاضرة لخدمتهم يومًا بيوم بعون الله وتوفيقه.

الأمر الرابع: أننا ندعو للوحدة في الشام وغير الشام، ويذكر الكثير من إخواننا في الشام دعواتنا المتكررة لذلك منذ بداية الجهاد الشامي، ويذكرون أنه لما أعلنت الجبهة الإسلامية أني أرسلت لأخوي الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله، والشيخ الجولاني وفقه الله: لماذا لا تتحد جبهة النصرة مع هذه الجبهة؟ وحثثتهما على السعي في ذلك، وإذا تم الاتفاق على أمر فليرسلوا لي به أولًا للاطلاع عليه.

وأذكر إخواني في الشام أن جماعة قاعدة الجهاد كررت مرارًا أنها على استعداد لأن تتخلى عن رابطتها التنظيمية مع جبهة النصرة إذا تحقق أمران لا ثالث لهما:

الأول: هو اتحاد مجاهدي الشام.

والأمرُ الثاني: أن تقوم حكومة إسلامية في الشام، ويختار أهل الشام لهم إمامًا.

وحينئذ وحينئذ فقط –وليس قبل ذلك– نتخلى عن رابطتنا التنظيمية، ونهنئ أهلنا في الشام بما أنجزوه، وتبقى بيننا أخوة الإسلام والجهاد.

أما أن تنشأ كيانات جديدة بدون وحدة، تتكرر فيها دورات الالتحاق والانشقاق العبثية، فهذا ما رفضناه.

وأحسب أن هذا سبق لجماعة قاعدة الجهاد لم تقم به جماعة في عصرنا هذا على حد علمي، فنسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

في الختام أتوجه برسالتين، أولها: لأهلنا في الشام، فأقول لهم:

لا تصدقوا الخرافات المتخوفة من أمريكا، التي تقول لكم: إن القاعدة هي سبب كل المصائب في الشام، وإن إخراجها هو مفتاح حل كل المشاكل.

ألم يقولوا للبعض ابتعدوا عن القاعدة ليتوقف القصف، فهل توقف؟

وابتعدوا عن القاعدة حتى لا تصنفوا، فهل لم يصنفوا؟

وابتعدوا عن القاعدة لتتحقق الوحدة، فهل تحققت؟

إخواني المسلمين في الشام: القاعدة لا علاقة لها بالنزاعات والصراعات والمناكفات حول الوحدة، والذين لا يريدون الوحدة أنتم تعرفونهم فاضغطوا عليهم.

إنهم مستعدون لأن يتجادلوا لعقود في أمر يمكنهم إتمامه في دقيقة، فما دخل القاعدة في ذلك؟

القاعدة تقول لهم اتحدوا، ويختار أهل الشام لهم إمامًا ، وسنكون أول المؤيدين، فلم لم يتحدوا؟

ورسالتي الثانية لأحبتنا وتيجان رؤوسنا مجاهدي الشام الأبطال، فأقول لهم:

يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فهل من طاعة الله ورسوله نكث العهود، وهل التنازع سيؤدي للنصر أم للفشل؟

ونسمع غرائب وأعاجيب، فأخ يقول: الشيخ أبو فلان أفتانا بأن من يدعو للقاعدة يعتقل.

أين كنت يا أبا فلان لما كان يستغاث بالقاعدة في الشام، وترفع لها البيعات.

ألم يجعل الله -سبحانه وتعالى- القاعدة سببًا من أكبر الأسباب في دحر إبراهيم البدري في الشام والتصدي لدجله وافترائه، أليست هي التي بينت أن قتلة أبي خالد السوري من التكفريين الجدد،

وأليست هي التي طردت إبراهيم البدري وزمرته من جماعتها، وأليست هي التي بينت بالأدلة والوثائق كذبه ودجله وافتراءه؟ وأليست هي التي نزعت الشرعية عن خلافته المزعومة؟

ولو -لا قدر الله- تفاهمت القاعدة مع البدري أو تخاذلت عن بيان الحق، لكان البدري -ولا يعلم الغيب إلا الله- قد ابتلع جبهة النصرة، ولو ابتلع النصرة لما وقف له أحد في الشام، ولكن التي وقفت شوكةً في حلقه، ونزعت عنه الشرعية، هي القاعدة، ولذلك صب عليها دجالوه وكذابوه جام غضبهم.

ولما صدر -من قيادة القاعدة- قرار الفصل في التراع بين الدولة والنصرة، ضجت الشام بالفرح، وأرسل لنا الشيخ الجولاني -وفقه الله- بأن هذا قرار تاريخي، فما الذي جعله الآن في ذمة التاريخ؟

ولما كان البدري ودجالوه يهددون وحدة المجاهدين في الشام بدعاويهم الباطلة رفعت البيعات فوراً للقاعدة، وهطلت عليها الرسائل من الجهات المختلفة: أن أنقذوا الشام، فلما انكمش خطر البدري بدأت تخرج الألفاظ المبتدعة المخترعة: فك الارتباط وربط الافتكاك وفرط الارتباك، بينما أخونا الكريم عبد الرحيم عطون في جوابه على الشيخ الطرسوسي وفقهما الله، وفي حديثه لمجلة إيحاءات جهادية أكد أن الذي بينهم وبين القاعدة ليس ارتباطًا ولكنه بيعة.

وتدور آلة التبريرات الهزيلة: مصلحة أهل الشام، إيقاف القصف، منع التصنيف بالإرهاب، وحدة المجاهدين في الشام، مشروع أهل السنة، مشروع أهل السنة، أم مشروع القتال والصراع بين أهل السنة.

وتتواصل المراسلات والاتصالات بيننا وبين إخواننا لأكثر من عام: يا أيها الإخوة الكرام إما أن يتحد المجاهدون في الشام، وإما أن ترجعوا لجماعتكم، فلا نجد إلا التبريرات والتسويفات، وترتفع الحجج الركيكة: هل تريد أن يقصف أهل الشام؟ هل تريد أن تمنع الوحدة؟

يا إخوة أنتم في وحدة أكبر من وحدتكم بفضل الله ومنته، أنتم في جماعة قاعدة الجهاد المبايعة للإمارة الإسلامية في تجمع جهادي واسع بفضل الله وكرمه.

فتأتي الأجوبة: لا. القاعدة مشروع انتهى، وأكل عليه الزمان وشرب، ونحن اليوم في عصر جهاد الأمة، وليس في عصر التنظيمات، وهم غارقون في صراع التنظيمات، والقاعدة ستجلب علينا الويلات، وأين مصلحة أهل الشام؟

يا إخوة نحن ما أكرهناكم ولا قهرناكم ولا هددناكم بسكين حاذقة ولا طلقة فالقة.

فإذا كان هذا هو حالنا في شيء من التمكين الطارئ مع الخوف والزلازل، فماذا سنفعل ببعضنا إذا تمكنا؟

ونحن لا نسأل أحدًا جزاءً ولا شكورًا، ولكننا نرى إخواننا يظلموننا ظلمًا بينًا.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً   على النفس من وقع الحسام المهند

وهل هذا يا شيخ أبو فلان هو شكرك للنعمة بأن أذهب الله شر الغشوم الظلوم إبراهيم البدري، هل تريد أن نسلب النعمة، ويبتلينا الله بظلوم غشوم آخر؟

والقاعدة هذه يا شيخ أبو فلان -التي تهدد باعتقال من يدعو لها- هي التي كان يؤكد على الانتماء لمنهجها الشيخ الحبيب أبو خالد السوري رحمه الله.

فقد أرسل لي رسالةً في جمادى الثانية من عام ألف وأربعمائة وأربعة وثلاثين ختمها بخاتمة جميلة قال فيها:

"اعلم شيخنا الكريم أني لم أبدل و لم أتحول عما كنا عليه فكرًا ومنهجًا وغايةً، وأن الود الذي كان بيننا على ما هو عليه، بل زاد وعظم، وإني لك -كما عهدتني- ناصح أمين وأخ محب".

إلى أن قال رحمه الله:

"وفي نهاية المطاف أسأل المولى أن يعزك بالإسلام، ويعز الإسلام بك، ويبقيك ذخرًا للمسلمين، وأن يجمعنا في غوطة دمشق على طاعته قائمين بأمره".

رحم الله أبا خالد.

و لم يقل لي إذا جئت للشام إما أن تدخل تحت إمرتنا أو نعتقلك؟

و لم يقل لي: لن نسمح لك بأن تنشأ جماعةً جديدةً. سبحان الله هل صارت القاعدة في الشام هي الجماعة الجديدة؟

ولماذا اختفت هذه المحبة من بيننا، وحلت محلها الغلظة والتنازع وقسوة القلب، والتدبير والتخطيط للتملص من البيعات، والتبرؤ من الإخوة، والعمل على طردهم وإخراجهم، وكبحهم وكبتهم.

هل هذه هي أسباب النصر، أم مقدمات الهزيمة؟

إن مخطط الأعداء لإخراج القاعدة من الشام يهدف لإخراج آخر مجاهد سوري من سوريا.

أكررها مرة أخرى فاسمعوها، إن مخطط الأعداء لإخراج القاعدة من الشام يهدف لإخراج آخر مجاهد سوري من سوريا.

وهذا هو مصير محمد مرسي عبرة لمن يعتبر، وها هو مسلسل التهجير على أشده.

وهل كنت يا صاحب الفتوى ستعتقل معي أيضًا الشيخ أبا خالد السوري رحمه الله، لأنه على منهج القاعدة فكرًا ومنهجًا وغايةً.

رحمك الله يا أبا خالد فقد افتقدناك كثيرًا.

ولا يقف الأمر عند حد اعتقال الرجال، بل يتعدى لاعتقال النساء المهاجرات الصابرات والتحقيق مع أطفالهن.

فلماذا انحدرنا لهذا المستوى، ألا يحتاج الأمر لوقفة بل وقفات؟

ويقول قائل آخر: إن الشيخ فلان والشيخ أبا فلان أفتونا بأن ننكث بيعة القاعدة، إذًا أيها الأخ الكريم فاستدعهما يوم القيامة ليدافعا عنك، يوم يرفع لكل غادر لواءً، فهل سيدافعا عنك؟ يقول الحق سبحانه: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

ثم ألم تكونوا تشنعون على البدري وزمرته بأنهم لا شرعية لهم لأنهم نكثوا بيعة القاعدة، فلماذا تحلون لأنفسكم ما تحرمونه على غيركم، ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

و لم يقتصر الأمر على جماعة معينة، بل صارت البيعات في الشام مثل محطة السكك الحديدية: ركاب قادمون، وآخرون مغادرون، وثالثون عابرون، ومودعون مفارقون، ومستقبلون مرحبون، وموظفون منتفعون، ومتفرجون متنزهون.

يا إخواني إن البيعة عقد شرعي، وتعظيم الأوامر والنواهي من أصول الشرع، يقول الحق سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، ويقول عز من قائل: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

لننظر يا إخواني وأوليائي وتيجان رأسي مجاهدي الشام لحالنا قبل هذه القفزات والتقلبات، فتحت البلاد والمحافظات في أزمنة قياسية، وانهزم الأعداء هزائم نكراء، وغنمتم الغنائم العظيمة، وكتبتم على راياتكم اتحدنا فنصرنا الله، ثم انظروا لحالنا بعد هذه التقلبات والتحولات، وبعد أن تسرب الخوف من أمريكا للقلوب، ولنتذكر قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

اللهم اعف عنا، وارزقنا من فضلك، ولا تعاملنا بما نحن أهله.

بوب البخاري رحمه الله: باب: عمل صالح قبل القتال، ثم قال: وقال أبو الدرداء: "إنما تقاتلون بأعمالكم".

ويقول الشيخ فلان: لن نسمح بتكوين جماعة جديدة بأية وسيلة.

وأمير هذا الشيخ وشيخه هو الشيخ أبو خالد السوري رحمه الله، الذي كتب لي لما اخترته -في مشكلة الدولة والنصرة- مندوبًا عن قيادة القاعدة، التي جعلوها جماعةً جديدةً لا يسمح بإنشائها، كتب لي -رحمه الله- خطابًا يفيض مودةً وأدبًا جاء فيه:

"فإلى شيخي الحبيب أبي الفتح حفظك الله ورعاك.

فما آنس قلبي وشرح صدري وأعاد البشرى إلى من بعد سنين عجاف وأيام عسيرة شيء كما فعل كتابكم الكريم إلي".

إلى أن قال رحمه الله:

" ولئن وقع اختيارك علي مساعدًا ومعينًا في حل الأزمة الواقعة بين دولة العراق الإسلامية وجبهة النصرة، فاسأل الله أن أكون لك بطانةً صالحةً ناصحةً ورائدًا لا يكذب أهله".

فما الذي تغير؟ وما الذي تبدل؟

ويقف شيخ حبيب آخر في اجتماع عام فيخطب: انتهت القاعدة، انسوا القاعدة.

سبحان الله. أيها الحبيب، أنت مسكين مطارد مطلوب مثلي.

إن المصائب يجمعن المصابين

فهل ترضى أن تقول عنك القاعدة: انتهى فلان. انسوا فلانًا.

إن شاء الله لا نقولها أبدًا، أتعرف لماذا أيها الحبيب؟

لأننا تخرجنا من مدرسة الملا محمد عمر والملا محمد أختر منصور رحمهما الله، مدرسة الإمارة الإسلامية، مدرسة الوفاء والشيم وحفظ المستجير، والتضحية بالملك والدنيا في سبيل ذلك. المدرسة التي يصدق فيها قول سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه:

وإذا نزلت ليمنعوك إليهم أصبحت عند معاقل الأغفار

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره" .

وفي رواية البخاري رحمه الله: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه".

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

أراهم إلى نصري بطاءً وإن هم دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن بادهوني بالعداوة لم أكن أبادههم إلا بما ينعت الرشدا

وإن قطعوا مني الأواصر ضلةً وصلت لهم مني المحبة والودا

وإن نسى إخواننا سابقتنا وحقوقنا وعهودنا، فإنا لا ننسى فضلهم وبذلهم وعطاءهم، نسأل الله أن يتقبل منا ومنهم.

على أن قومي ما ترى عين ناظر كشيبهم شيباً ولا مردهم مرداً

بفضل وأحلام وجود وسؤدد وقومي ربيع في الزمان إذا شدا

ولا يقتصر الأمر على التنكر للقاعدة، بل تصبح ساحة الشام الجهادية غابةً من التنازع، فيتقاذفون التهم، ويقصفون بعضهم بعضًا بالفتاوى، وكل يجيش له من المفتين جيشًا.

وتضيع الوعود والعهود في ساحة المصالح، فهذا يوقع على اتفاق الوحدة، وفي اليوم الثاني يتملص، وذاك يقول أنا على بيعتي ولكن سرًا، وبعد مديدة يتخلص، وذلك يدخل في تشكيل جديد، ثم ينشق ويقاتل ويقاتل.

وتضيع بوصلة القتال، فبدلًا من أن نسترجع حقيقة أن ما نحن فيه هو جهاد دفع، يجاهد فيه مع كل مسلم حتى تحصل الكفاية، أصبح الجميع يقاتل الجميع، وأصبح مشروع أهل السنة في الشام مشروع القتال بين أهل السنة في الشام، ومن كان بالأمس حليفًا وشريكًا، نفتخر بانتمائه لنا، صار خائنًا عميلًا يجب القضاء عليه، وأصبح القتال حيص بيص، ونحن -بفضل الله- أبرياء من كل هذا.

يا إخواننا وأولياءنا وتاج رؤوسنا مجاهدي الشام، لقد كسرتم -بعبثكم وصراعاتكم- قلوب المسلمين في أكناف بيت المقدس ولبنان والعراق ومصر والأردن، الذين كانوا ينظرون إليكم على أنكم بشرى الأمل البازغ لخلاصهم والفجر المشرق لتحررهم وعزهم.

يا إخواننا وأولياءنا وتاج رؤوسنا مجاهدي الشام، علينا أن ندفن خلافاتنا، ونسكن صراعاتنا، ونجتمع جميعًا مع أمتنا في صد صيال التحالف الشيطاني العالمي على الشام، إنه جهاد الدفع، هل نسينا ذلك؟

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل تنفصل ساحة الشام الجهادية شيئًا فشيئًا عن مآسي الأمة، ففي جزيرة العرب يقتل آل سعود في يومين أو ثلاثة أربعةً وأربعين من أعلام الدعوة والجهاد، فلا تخرج كلمة واحدة من منظمة جهادية شامية تستنكر ذلك.

فلماذا هذا الانسحاب، ألأنهم يسعون -عبثًا- في ألا تعاديهم أمريكا والسعودية مثل القاعدة، ولماذا تعادي أمريكا والسعودية القاعدة؟ تعاديانها لأنها تدافع عن حقوق الأمة المسلمة، وتفضح العملاء والخونة، وتعلنها على الملأ أن حكام الجزيرة ومشيخات الخليج لصوص يسرقون ثروات المسلمين ويسلمونها لأعدائهم، تلك السرقة التي سماها الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- أكبر سرقة في تاريخ البشرية، تمت بأيدي هؤلاء العملاء، الذين جعلوا من أنفسهم تابعين أذلاء للقيصر الأمريكي.

ولذلك لا بد أن تكرههم أمريكا، ومن تكرهه أمريكا فلننأ بأنفسنا عنه، حتى وإن قصفتنا أمريكا ودمرتنا وقسمت بلادنا، ونصبت علينا عميلًا آخر من طائفة السيسي وحفتر.

ويقول منظرو التفريق: القاعدة جلبت على نفسها عداء العالم، ونحن نريد أن نحصر قضيتنا في الشام. القاعدة أيها المنظرون دافعت عن الأمة وعن دينها وكرامتها ومقدراتها.

وأنتم أيها المنظرون ألم تسألوا أنفسكم لماذا اجتمعت الدنيا على الشام، هل لو كان الجهاد في الشام مسألةً معزولةً ضيقةً كانت كل هذه القوات والتحالفات والحكومات ستجتمع ضد انتفاضة الأمة المسلمة في الشام، المشكلة في الشام ليست مشكلة الانتخابات في الفلبين ولا من يحكم في أوكرانيا،

الشام ميدان لحرب عالمية بين الإسلام وأعدائه، إنها الحلقة المعاصرة للحرب الصليبية، هذه هي الحقيقة التي يغمض منظرو التفريق أعينهم عنها، بينما هي تلتف حول أعناقهم.

وعلى نفس النسق، يتوفى الشيخ عمر عبد الرحمن رحمه الله، العالم المجاهد الصابر المعتز بدينه الجبل الأشم، والعملاق الذي لم يعرف الانحناء، رهين المحابس الثلاثة كف البصر والمرض والسجن، شيخنا وشيخ المجاهدين، فلا تخرج كلمة رثاء واحدة من منظمة جهادية شامية، فيما أعلم، وإن أخطأت فراجعوني.

أليس عارًا أن تتجاهله الحركات المجاهدة الشامية، بينما تتذكره محاميته لين ستيوارت، التي قضت في السجن سبع سنوات بسبب دفاعها عنه ونقلها لتصريحاته، ورغم ذلك تذهب أمام المستشفى الذي توفي فيه، وتضع إكليلًا من الزهور وفاءً له.

وليس في خارج الشام فقط بل حتى في الشام نفسها، تتنكر الحركات المجاهدة لأكابر المجاهدين وشيوخهم، فهذا أخونا الحبيب القائد الزاهد الشيخ أبو الخير رحمه الله، يستشهد وسط المجاهدين، فلا تخرج كلمة رثاء واحدة من مجموعة جهادية شامية في حقه. لماذا؟ ألأنه من القاعدة عدوة أمريكا؟

أبو الخير؛ الذي استفادوا منه أيما استفادة، ثم لا كلمة رثاء واحدةً.

بينما التعازي والتهاني توزع يمنيًا وشمالًا.

يا إخواننا وأولياءنا وتاج رؤوسنا مجاهدي الشام الأبطال الميامين. يقول الحق سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

ويقول سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾.

ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

نريد –وأنا أول المحتاجين لذلك– أن نصلح ما في قلوبنا، وأن يعلم ربنا منا الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين، وأن نقف مع أنفسنا وقفةً صادقةً نراجع ونصحح ونستغفر، ونستنزل النصر والفرج والفتح. نريد أن نقف مع أمتنا من تركستان لسواحل الأطلسي صفًا واحدًا متينًا متراصًا، نريد أن يتحقق فينا قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

اللهم اجمع شملنا، وألف بين قلوبنا، ووحد بين صفوفنا، وانصرنا على عدونا، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما أسرفنا على أنفسنا، اللهم لا تحرمنا نصرك ولا إجابة الدعاء بذنوبنا، اللهم إن لم نكن أهلًا لأن تنصرنا ولا لأن تجيب دعاءنا، فاجعلنا بجودك وكرمك أهلًا لذلك، خذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، اللهم إنك تعلم أننا مطاردون مشردون مهاجرون، فكف عنا أذى من يسعى في طردنا، والتضييق علينا. فوضنا أمرنا إليك فدبره لنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.